

برنامج أنوار كاشفة

أمثال المسيح

الحلقة السابعة عشرة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاء السابق عن مثل الفريسي والعشار. وكيف صلى الفريسي مفتخراً بنفسه، بينما طلب العشار رحمة الله على خطاياها، فقبل الله صلاته وذهب إلى بيته مبرراً من ذنوبه.

يُحكى أن الاسكندر المقدوني عند وفاته أوصى ثلاث وصايا. الأولى: أن لا يحمل نعشه عند الدفن إلا اطباءه. والوصية الثانية: أن تنثر في جنازته قطع الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي جمعها طيلة حياته. حتى يعلم الناس أن كل وقت قضيناه في جمع المال ليس إلا هباء منثوراً، وأنا لن نأخذ معنا حتى فتات الذهب. والوصية الثالثة والاخيرة: حين ترفعوني على النعش أخرجوا يدي من الكفن وابقوها معلقتين خارجاً وهما مفتوحتان. ليعلم الناس أننا أتينا إلى هذه الدنيا فارغي الأيدي وسنخرج منها فارغي الأيدي كذلك. حقاً إنها حكمة عملية اكتشفها القائد اليوناني عندما اقترب من الموت.

عندما أتى أحدهم إلى المخلص المسيح طالباً منه أن يقول لأخيه أن يقاسمه الميراث، أجابه المسيح: «يَا إِنْسَانُ، مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكَ قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟» وَقَالَ لَهُمْ: «انظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ، فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لِأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ». وَضَرَبَ لَهُمُ الْمَسِيحُ مَثَلًا قَائِلًا: «إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ، فَفَكَرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: مَاذَا أَعْمَلُ، لِأَنَّ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟ وَقَالَ: أَعْمَلُ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَارِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ، وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلَاتِي وَخَيْرَاتِي، وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِّي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي! فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تَطْلُبُ نَفْسَكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ وَهنا علق المسيح قائلاً: « هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ » (بشارة لوقا ١٢: ١١٣-٢١)

مستمعي العزيز، لقد وضع المخلص المسيح أصبعه على الحقيقة، حين قال: «انظروا وتحفظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحدٍ كثيرٌ فليست حياته من أمواله». إن حياة الإنسان لا تعتمد في أساسها على ما يجمعه من مال وثروة، بل على العكس تُبنى على القيم الروحية الصحيحة، والمنهج السليم. لهذا لم يكن غريباً أن يحذرنا المخلص المسيح من الطمع، والسعي لجمع الأموال. إن المال هو وسيلة للعيش فقط، لكن عندما يصبح هو الهدف يصبح مدمراً لحياتنا، إذ لا علاقة للحياة الصالحة بالثروة. لهذا علينا أن نحذر من الطمع، وأن لا يكون هدفنا فقط هو جمع المال وبأية وسيلة كانت.

ثم أردف المسيح فتحدث بمثلٍ عن رجل غني أخصبت كورته. وعندما أراد أن يجمع أثماره، اكتشف أن مخازنه لا تتسع لكل هذه الغلات. فقرر أن يهدمها ويبني مخازن أكبر يجمع فيها خيراته. وهنا نفسه قائلاً: يَا نَفْسُ لَكَ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ، مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَأَفْرَحِي!

لم يكن خطأ هذا الرجل الغني أنه قرر بناء مخازن أكبر، لكن لأنه ظن أن ثروته هذه ستوفر له حياة سعيدة، ولسنين طويلة. متجاهلاً أن حياة الإنسان لا تعتمد على الثروة التي يملكها، بل على علاقته الحيّة بالله، والقيم الروحية الصحيحة التي يجب أن يتحلّى بها. ولهذا وجد الغني نفسه في هذا المثل أمام النهاية المؤلمة، عندما قال له الله: « يَا غَبِيُّ! هَذِهِ اللَّيْلَةُ تُطَلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهَذِهِ الَّتِي أَعَدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟ » وهنا علّق المسيح قائلاً: « هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلَّهِ » فمن المهم أن يكون الإنسان غنياً لله، لكي تكون حياته مبنية على أساس متين.

مستمعي الكريم، هل تعلم أن حب المال والسعي لجمع الثروة هما من أقوى الاغراءات التي تجذب الإنسان؟ وعندما يصبح هدف الإنسان في الحياة، هو فقط السعي لكي يصبح غنياً، ولو على حساب الآخرين واستغلالهم، وأيضاً على حساب القيم الروحية، يفقد إدراك المعنى الحقيقي للحياة. ولو عدنا إلى وصية القائد اليوناني اسكندر المقدوني الذي اكتشف الحقيقة عند ساعة مماته، لوجدنا أن الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل نبهنا إلى هذا الأمر بالذات عندما قال: « لَأَنَّا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَأَصِحَّ أَنَّنَا لَا نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوَّةٌ وَكِسْفَةٌ، فَلَنَكْتَفِ بِهِمَا » ثم حذرنا الرسول بولس من السعي لجمع المال فقال: « وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغْرِقُ النَّاسَ فِي

الْعَطَبِ وَالْهَلَاكِ. لَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذْ ابْتِغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ»
(اتيموثاوس ٦: ٧-١٠).

إذن إن محبة المال والسعي لجمعه هما من الأمور التي تُفسد الإنسان، وتوقعه في أمور كثيرة مضرّة به، وتؤدي به إلى الهلاك. تماماً كما حصل مع الغني الغبي في مثل المخلص المسيح. لكن الرسول بولس نصحننا قائلاً: « وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ » (اتيموثاوس ٦: ٦). أجل، إن القناعة هي على عكس الطمع، فعندما يكون الإنسان قنوعاً ويتحلّى بالغنى الإلهي، يستطيع أن يضمن لنفسه حياة سعيدة هنا على الأرض، وفي المستقبل الحياة الأبدية. والقناعة لا تعني أن يتخلّى الإنسان عن طموحاته وآماله، لكن أن يبتعد عن الطمع وحب المال.

صديقي المستمع: ألا ترغب أن تكون غنياً لله؟ وأن تتحلّى بالقناعة وأن تبتعد عن الطمع وحب المال؟ ما عليك إلا أن تأتي إلى الله بالتوبة والإيمان بالمخلص يسوع المسيح، الذي وحده يقدر أن يحررك من عبودية حب المال والطمع، وأن يجعلك تتحلّى بالقناعة وكل الصفات الإيجابية البناءة.